

المجلد: 05، العدد: 02 (2021)، ص 672-683

دور المستشرق والجاسوس الفرنسي ليون روش في توطيد أركان الاستعمار
الفرنسي بالجزائر

The role of the French orientalist and spy Leon Roche in consolidating the pillars of
French colonialism in Algeria

فثية بن حميد
جامعة الجزائر 02 - أبو القاسم سعد الله (الجزائر)
fathia.bm@yahoo.com

المعلومات المقال	المخلص:
تاريخ الارسال: 2021/05/29 تاريخ القبول: 2021/11/18	نسعى في مقالنا هذا إلى تسليط الضوء على أحد أهم الأعمدة التي اعتمدها الادارة الاستعمارية في تثبيت دعائمها في الجزائر، وضرب مقاومة الأمير عبد القادر من الداخل، إضافة إلى فهم البنيات الأساسية المكونة للمجتمع الجزائري عامة والدين الإسلامي على وجه الخصوص، ثم ايجاد السياسة الأمثل لاستغلالها لصالح مخططات بلده الاستعمارية. هو المستشرق والمترجم والجاسوس الفرنسي ليون روش.
الكلمات المفتاحية: ✓ ليون روش ✓ الاستعمار الفرنسي ✓ الأمير عبد القادر	Abstract: In this article, we seek to highlight one of the most important pillars adopted by the colonial administration in stabilizing its foundations in Algeria, and to strike the resistance of Prince Abd-el-Kader from within, in addition to understanding the constituent structures of Algerian society in general and Islamic religion in particular, and then finding the best policy to exploit it in favor of his country's colonial plans. He is an orientalist, translator and French spy Leon Roche.
Article info Received: 29/05/2021 Accepted: 18/11/2021 Key words: ✓ Leon Roche ✓ French colonialism ✓ Abd-el-Kader	

وظفت الإدارة الاستعمارية -بهدف تدجين الجزائر والنيل التام من سيادتها بالتوسع في مختلف ربوع البلاد والقضاء على مختلف المقاومات التي تقف في وجه مشروعها الاستعماري- العديد من الشخصيات التي بذلت جهود جبارة في خدمة مصالح فرنسا الاستعمارية، ويعد ليون روش من أهم الشخصيات التي كرست نفسها لخدمة وطنها، فقد قاع بأعمال استعمارية جاسوسية هدامة للمقاومة والدولة الجزائرية، بتوغله إلى قلب مقاومة الأمير عبد القادر وتخريب مخططاته ثم ابلاغ قاداته باستراتيجية الأمير العسكرية والسياسية لطرد المستعمر، ثم السعي للحصول على فتوى سنة 1841 والتي تثبت عزيمة الجزائريين على المقاومة وتدعوهم إلى تقبل الاستعمار كونه قضاء وقدر، فقام هذه الشخص بثلاث وظائف حساسة مترجم وجاسوس والمستشرق. فما هي أهم نشاطات روش الاستعمارية؟ وإلى أي مدى خدم مشروع بلده في التوسع والسيطرة؟

1. مولده ونشأته

ولد ليون روش في مدينة غرونوبل الفرنسية في 27 سبتمبر 1809م، بدأ دراسته بثانوية مسقط رأسه وأتمها بثانوية تورنون ومنها نال شهادة البكالوريا سنة 1828م، ثم دخل معهد الحقوق في غرونوبل لمدة 6 أشهر، تميز بالطموح والرغبة في المغامرة⁽¹⁾. كان والده ألفونس روش ملحقا بخدمات العتاد الحربي في الجزائر منذ الحملة الفرنسية جويلية 1830م، عمل في المجال الفلاحي في ضواحي الجزائر فكون مزرعة في سهل متيجة، انتقل ليون إلى الجزائر سنة 1832م واستقر وسط الأهالي الجزائريين وبقايا الأتراك والحضر⁽²⁾. وفي منتصف سنة 1833م قدمه أبوه إلى شخصيات هامة ونافذة في الجزائر فعرفه بالدوق دي روفيجو (حاكم الجزائر العام) مسؤول المصالح المدنية السجانتية ورئيس بلدية الجزائر السيد كوتان، وعلى إثرها عينه الدوق في هيئة الحرس الوطني برتبة ملازم في فرقة الفرسان الخيالة، وكانت هذه الفرقة ترافق الجنرال في الحملات القصيرة باتجاه منطقة الهضاب و متيجة⁽³⁾. ويرجع تعلق ليون روش باللغة العربية وشغفه بتعلمها إلى عاملين رئيسيين أولها التمكن من التواصل مع أجراءه والده في المزرعة وثانيا التمازج مع خليلته الجزائرية خديجة، فتعلمها على يد أستاذ جزائري مسلم اسمه عبد الرازق بن بسيط فتمكن من إتقانها في أقل من سنة⁽⁴⁾.

2. ليون روش مترجما

بفدوم اللجنة الإفريقية الأولى للجزائر سنة 1833م للبحث في أحوال الجزائر وتقديم تقريرها للحكومة الفرنسية⁽⁵⁾ تلقى والد ليون روش زيارة بعض أعضائها وعلى رأسهم السيد بيسكاتوري (Piscator)⁽⁶⁾ ولورانس (Laurance) تكفل خلالها ليون روش بمهمة الترجمة بين أعضاء اللجنة والعرب الحاضرين⁽⁷⁾. وأدى ليون روش دورا بارزا في خدمة أغراض بلده وتذليل الصعاب أمام اللجنة من خلال شرح مصطلحات الملكية في الإسلام وتفسير الشروط المقترحة من الطرفين، غير أن ما تعلمه من اللغة العربية لم يكن كافيا لأداء المهمة على وجهها الكامل، ما جعله يكثف جهوده في تعلمها وإتقان مصطلحاتها، فسهر على فهم ألباء الأسماء العربية

والمصطلحات الاقتصادية والعقارية بمساعدة أستاذه عبد الرزاق الذي سهل له تناول المفردات اللغوية المتعلقة بعلم القانون والخصومات في الإسلام⁽⁸⁾.

والجدير بالذكر أن انكباب ليون روش على تعلم اللغة العربية لم يكن لمغازلة صديقه خديجة، بل أن تعلمها سيدر عليها الأرباح الطائلة فقد كان يتقاضى أكثر من ألف فرنك شهريا، ولخدمة بلاده التي كانت بحاجة إلى مترجمين أكفاء يكونون همزة وصل بين الفرنسيين والأهالي فحرص على إبراز شخصيته أمام عضوي اللجنة الإفريقية⁽⁹⁾.

وأمام نقص عدد المترجمين بالجزائر حيث لم يكن بها إلا أربعة مترجمين مؤهلين جيدا، استدعى تعيين ليون روش في منصب مترجم رئيسي محلف في الجيش الإفريقي من طرق المارشال كلوزيل سنة 1835م⁽¹⁰⁾. رافق ليون روش المارشال كلوزيل في حملته على المدينة سنة 1836م⁽¹¹⁾، وما أن بدأ المارشال يتاخم ثنية موزاية حتى باغت العرب جيوشه فتصدى لهم النقيب جاستي (Gastu) رئيس فرقة الصبايحية فتعجب عليه العرب وهزموا جنوده، وسقط جاستي جريحا بين صفوف الجزائريين، ما اغضب المارشال وأمر ضباطه 17 بإحضاره وتحريره، تمكن روش من إنقاذه بإردافه على حصانه⁽¹²⁾، قائلا له: " تشجع جاستي أنا معك"⁽¹³⁾ وأثبت روش مرة أخرى تفانيه في خدمة بلاده فرفع شأنه.

وتظهر مرة أخرى تفاني ليون روش في خدمة مخططات بلده الاستعمارية في الجزائر استغلال صداقته مع قائد البويرة سيدي محمد وطلب ضيافته للتجسس وجمع المعلومات عن محمد بن حسين المرشح من طرف الجنرال دي ميشال باي على المدينة، فأكد ليون روش على تجنب تعيينه على المدينة كون الأمر لا يخدم المصالح الفرنسية فالجزائريون ناقدون عليه⁽¹⁴⁾.

ازدادت طموحات ليون روش تجاه الحياة العسكرية ورغبته في أن يكون ضابط في الجيش⁽¹⁵⁾، وهو ما يثبت نيته في القضاء على الأهالي الجزائريين وليس وعمله للالتحاق بجيش الأمير عبد القادر نتيجة إسلامه فهو يريد نشر حضارة بلاده في أوساط الجزائريين⁽¹⁶⁾.

3. ليون روش جاسوسا في دولة الأمير عبد القادر (1837-1839م)

قرر ليون روش الالتحاق بجيش الأمير وبرر موقفه برغبته في اعتناق الدين الإسلامي، فغادر مقر إقامته واستقر عند شيوخ قبيلة بني موسى، مدعيا رغبته في الالتحاق بالأمير عبد القادر لمساعدته على تنوير المسلمين واطلاعهم على الحضارة الفرنسية، وبناء على ذلك بدأ روش ينظم اتصالاته مع بعض الفرنسيين والجزائريين بهدف جمع المعلومات الكافية حول أحوال الأمير عبد القادر فاتصل بالملازم الأول فيرجي قائد فرقة الصبايحية بمدينة بوفاريك ورافقه إلى البلدة، أين أظهر إسلامه واتصل بمرابط المدينة سيدي بلقاسم بن سيدي الكبير وظهر له بصفة مسلم وتخوفه من رجال الحجوط لأن يغتالوه، فوثق به المرابط واستضافه في بيته⁽¹⁷⁾.

وفي هذه الأثناء حضر رسول الأمير عبد القادر مخبرا سيدي بلقاسم عن رغبة الأمير في بسط نفوذه على القبائل المقيمة في الشرق الجزائري التي لم تخضع بعد لسلطانه وحينها أبدى روش رغبته في الالتحاق بالأمير عبد القادر لخدمته، فكانت هذه الخطوة الأولى لوصوله إلى مرامه بالالتحاق بدولة الأمير لخدمة فرنسا والمساهمة في تحقيق مصالح بلاده (18).

تهيأ روش للقاء الأمير فتعلم مختلف العبادات كالصلاة وتعاليم الإسلام لبث الثقة في نفس الأمير ومن حوله. قبل الأمير عبد القادر دعوة روش للدخول في خدمته، ولأول مرة أجرى معه حوارا فأقنعه بإسلامه ورغبته الحادة في خدمته والانطواء تحت حكمه (19)، وختن ليون روش بناء على تعاليم الدين الإسلامي وسمي عمر، ثم أرسله الأمير عبد القادر بعد ذلك إلى إحدى الزوايا بتلمسان ليتعلم القرآن والعلوم الدينية (20).

من هنا بدأ روش في التحضير لعمله كجاسوس وبدأ في أخذ حذره من أن إقنانه عملا لصالح الأمير وارتكاب جريمة في حق بلده، وأخذ الشروع في جمع المعلومات ومراسلة الفرنسيين وتعريفهم بأحوال الأمير العسكرية والسياسية (21).

وبعث أول رسالة له من معسكر الأمير في وادي نوغة في 1837/12/19م إلى أحد الفرنسيين لم يذكر اسمه وأشار إليه بعبارة صديقي استهلها بإعطاء وصف دقيق عن شخص الأمير ومناقبه وأوصافه الجسمية والخلفية والدينية والثقافية وقال أنه رجل عادل ومحترم للتعاليم الإسلامية ويحظى بالاحترام الشديد لاحترامه الإسلام وسيره على خطى الخلفاء الراشدين، ثم تطرق للحالة الاقتصادية والمالية والعسكرية مؤكدا أن موارده المالية منعدمة وخزينته مفلسة وجيشه النظامي مشتت وضعيف المعنويات وأن سلطته جزئية فبعض القبائل خرجت عن سلطته لاسيما قبائل الجنوب فلم تعترف بسلطانه بعد (22).

ومن الناحية الإدارية أكد روش أن الأمير يقسم دولته إلى 8 إمارات يرأس كل واحدة منها خليفة وأعطى تفاصيل هامة عن كل إمارة وكيفية توزيع القبائل التابعة له، كما قدم تفاصيل عن كيفية جمع ضرائب الزكاة والعشور، أما عن موقف المسلمين من الوجود الفرنسي في السواحل الجزائرية فيقول أن رأيهم بالإجماع على أنها فترة مؤقتة وأنه سيتم جمع المال لشراء كل المدن ويغادر الفرنسيين بلادهم وتعم سلطة الأمير الجزائر (23).

واصل ليون روش مهمته كجاسوس وكشف للفرنسيين عن أسرار الأمير العسكرية وقال أن هدف الأمير عبد القادر الأساسي من هذه الجولة هو بسط نفوذه على قبائل شرق البلاد ومن ثم جمع الضرائب وتقوية ميزانية دولته، ثم شرح لصديقه كيفية محاربة الأمير عبد القادر للقبائل في وادي الزيتون انطلاقا من معسكره في وادي "نوغة" وكيف تمكن من الانتصار عليهم، وأعرب في الأخير عن رأيه في معاهدة التافنة وقال أنه لا يجب عقد معاهدة سلم مع الجزائريين (24). وكشف روش عن حقيقته كجاسوس وتفانيه في خدمة وطنه وحماية مصالحه الاستعمارية في رسالته إلى النقيب ديماس قنصل فرنسا في معسكر مؤكدا هدفه من الالتحاق بالأمير عبد القادر،

وذلك لما أوفده الأمير عبد القادر إلى مدينة تلمسان مروراً بمدينة معسكر ليتعلم القرآن وتعاليم الدين الإسلامي (25).

وأثناء إقامته في مدينة تلمسان شك فيه المسلمون واعتبروه جاسوساً فرنسياً، فراقبه الخليفة البوحميدي ولما أحس بذلك روش حاول الهرب إلى مدينة وهران إلا أنه فشل وقرر الخليفة البوحميدي إعدامه، ولكنه تستر تحت غطاء الإسلام وعدم جواز إعدامه مادام مسلماً ما أجبر البوحميدي على تركه وإرساله إلى الأمير عبد القادر (26).

وبحضور روش إلى الأمير اجتهد في البكاء والشكوى من ظلم البوحميدي وسوء معاملته، وبالغ في التضرع، فصدقه الأمير وقربه إليه وأطلعته على جميع أسراره لاسيما بعد أن عينه كاتباً له ومستشاراً، واتخذة رفيقاً وكلفه بمسائل جيشه النظامي وملابسه وأجوره وولاه مهام تسجيل أسماء القبائل كلها وحصر أسماء شيوخها حتى يتمكن من جمع الضرائب (27).

تمكن ليون روش من التقرب من الأمير عبد القادر والاطلاع على جميع أسراره لا يسماً بعد تعيينه مستشاراً له، وكلفه بمراقبة مسائل جيشه النظامي وملابسه وأجوره ومعرفة أسماء القبائل وزعمائها، حتى يتسنى له جمع الضرائب، ولثقة الأمير المطلقة في ليون روش وثق فيه بقية المسلمين، وازدادت ثقتهم فيه بعد رفضه الرجوع مع والده إلى الجزائر بعد زيارته للأمير ماي 1838م (28)، وصلت ثقة الأمير عبد القادر في روش لدرجة أن سمح له بحضور مجالسه السرية التي كان يعقدها مع كبار رجال دولته مثل مصطفى بن التهامي (29).

وبعدها سيؤدي روش خدمة لدولته ويوجه ضربة قوية للأمير عبد القادر لما خرج معه في حملته على عين ماضي 12 جوان 1838م، وكان الأمير قرر التوجه إلى الجنوب لإخضاع قبائل الصحراء وتنظيمها تحت سلطته وكانت الطريقة التيجانية هي المسيطرة على المنطقة فحرص الأمير على الاتصال بشيخها سيدي محمد بن سيدي أحمد بن سالم التيجاني على التعاون وجمع كلمة المسلمين وإعدادهم للجهاد في سبيل الدين الإسلامي، فكلف روش بالمهمة (30).

إلا أن روش حرص على خدمة وطنه وبث روح التفارقة بين الشيخ التيجاني والأمير عبد القادر، من خلال تحريض الأول ضد الأمير بإغرائه بحصانة قصره وقوة حصنه من هجمات الأمير ومحذراً إياه من مواقف الأمير المتصلبة، ولم يذكر روش للتيجاني هدف الأمير عبد القادر (31).

واصل ليون روش مهمته التخريبية بتأكيد استعداد التيجاني للحرب وإصراره عليها، ما أجبر الأمير على الاستعداد للمعركة، فعمل على إضعاف قوة جيش الأمير، فطلب من الأمير أن يجعله على رأس الكراغلة (تنبذ هذه الفرقة الأمير عبد القادر)، فعمل على تبذير الذخيرة وتركهم يطلقون الرصاص في غير موضعه بدل أن يراقب ذلك بكل دقة، ولم يكتف روش بهذه العملية التخريبية بل تعداها إلى مراقبة الفارين الأجانب الذين أخلصوا العمل للأمير (32).

ومما يؤكد لنا مهمة روش كجاسوس فرنسي اتصالاته مع النقيب ديماس في منتصف ماي 1839م، إذ أخبره أن الأمير عبد القادر ينوي زيارة قبائل شرق البلاد وتفقد قواتها قبل استئناف الحرب، وأنه سيواصل رحلته نحو الشرق ويزور القبائل القاطنة على الحدود التونسية، وأن هذا الأخيرة كانت قد كاتبتة تطلبه عندها لمبايعته، مؤكداً أن الأمير سيستغل فترة السلم لجمع الضرائب وتعويض خسائر حملة عين ماضي، وجمع الناس حصادها، وجمع العدد الكافي من الأسلحة⁽³³⁾.

وبدأ روش في اطلاع حكومته على أماكن الأمير الإستراتيجية لتخريب مواقعها، فأخذ أشهر مارس وأفريل وماي وجوان 1839م في تفتيش مصانع الأسلحة والذخيرة وكل المؤسسات الأساسية، وعمل على تحطيمها فلم تنتج أسلحة تذكر⁽³⁴⁾.

والأكثر دلالة على نوايا روش الخبيثة وسعيه لإفشال طموحات الأمير عبد القادر ومقاومته هو توقف عمال مصانع تاقدامت عن العمل بعد قرار الامير باستئناف الحرب، بل أن المصنع لم يكن ينتج شيئاً وروش وضع بعض الأسلحة على أساس أنها من انتاج المصنع، غير أن في الحقيقة أن المصنع لم يكن ينتج شيئاً يذكر، وتم وضع الأسلحة به لمخادعة الأمير وإيهامه فقط⁽³⁵⁾.

ولما أعلن الأمير عبد القادر الجهاد وبدأت التجهيزات، التقى بليون روش وسأله عن موقفه من استئناف الجهاد، لم يتمالك روش نفسه وانفجر في وجه الأمير وأعلن رفضه مناهضة وطنه وأكد له صراحة أنه لم يعتنق الإسلام، ثم استغل غياب الأمير عد القادر وخرج إلى مدينة وهران ومعه مجموعة من الوثائق المهمة منها خريطة جغرافية الجزائر وجهاز بوصلة وعدد من الرسائل في شكل برقيات ليخادع بها على طول الطريق ووصل إلى مركز الجيش الفرنسي في الكرمة⁽³⁶⁾.

عاد ليون روش إلى العاصمة ديسمبر 1839م ليواصل مهمته كمترجم عسكري، ثم شارك سنة 1840م في حملات أبريل وماي وجوان، كما شارك الجنرال تشانغارنييه في حملته على المدية ومليانة، أظهر خلالها تقانيه في خدمة وطنه، حتى لم يترك لنفسه مجالاً من الراحة⁽³⁷⁾.

ونظراً لتقاني ليون روش في خدمة أغراض بلاده الاستعمارية وتذليل الصعاب أهمها فقد تم ترقيته في 01 أبريل 1840م لرتبة مترجم من الدرجة الأولى، ثم إلى الصف الرئيسي في 28 ماي 1841م، وقد اعترف الجنرال بيجو بذكاء وتقاني ليون روش وحماسه في أداء واجباته⁽³⁸⁾.

4. دوره في الحصول على فتوى سنة 1841م

تيقنا من مدى فعالية الدين الإسلامي في نفوس الجزائريين وسعيًا لتهدئتهم وإبعادهم عن أية مقاومة، فكرت الإدارة الاستعمارية ولاسيما الجنرال بيجو في الحصول على فتوى من كبار علماء المسلمين في تونس، تحرم على مسلمي الجزائر محاربة المسيحيين بهدف تشتيت جمع المسلمين من حول الأمير⁽³⁹⁾، علماً أن الفكرة

تعود إلى ليون روش، فقد سمع بيجو قول الأمير خلال مفاوضات اتفاقية التافنة: "إنكم تتحدثون عن دينكم... لو كنتم مسيحيين... لكنتم من أحسن أصدقائنا إذ أن القرآن يأمرنا بالسلم واحترام دين عيسى ابن مريم..." (40). ورغم أن الجنرال بيجو رجل حرب ولم يكن من المهتمين بالأمر الدينية، فقد أدرك أن سر قوة المسلمين هي التمسك بدينهم ولذلك عمد إلى إقناعهم بأن دينهم يحرم عليهم محاربة أهل الكتاب وأن لا يرموا بأنفسهم إلى التهلكة ويقاوتوا قوة أكبر منهم عدة وعتادا (41).

فوقع اختياره على ليون روش للقيام بهذه المهمة لإتقانه اللغة العربية واطلاعه على عادات وتقاليد المسلمين وله معارف كثيرة من كبار شيوخ القبائل، وأهل لتقتهم به لاعتقادهم في إسلامه (42)، فسلم الجنرال بيجو لروش رسالة في 19 جويلية 1841م يسلمها إلى قنصل فرنسا العام بتونس يحثه على تقديم الدعم والمساعدة لروش لتأدية مهمته السرية ومستهلها:

"J'ai l'honneur de vous informer que je donne à M. Léon Roches, interprète principal, une mission secrète dans l'intérieur de l'Afrique et que les circonstances exigent qu'il passe par Tunis ..." (43)

"يشرفني أن أبلغكم بأني أعطي السيد ليون روش، المترجم الرئيسي، مهمة سرية في المناطق الداخلية من أفريقيا وأن الظروف تقتضي منه المرور عبر تونس العاصمة..."

وما تجدر الإشارة إليه أن روش بعث برسالة إلى التيجاني ليشرح له هدف المهمة التي ينوي القيام بها، طالبا منه العمل على جمع كلمة رؤساء الطريقة الطيبية وخليفة الزيبان وأولاد سيدي الشيخ لنيل موافقتهم، وقد استبشر التيجاني بالفكرة، إذ رأى فيها باعث للهدوء والسكينة في نفوس المسلمين المحرضين من طرف الأمير عبد القادر على الحرب ضد فرنسا (44).

وبناء على ذلك استدعى الشيخ التيجاني مقدمي الطرق المحالفة له واتفق معهم على أن يختار كل رئيس طريقة ممثل له للتوجه إلى القيروان في 19 جويلية 1841م حسب التاريخ الذي حدده روش، وقد امتثلت كل الطرق إلى مطلب التيجاني واصطحبت قوافلهم ليون روش إلى تونس (45).

وبوصول روش ومن معه إلى القيروان تمكن من الحصول على الفتوى من مجلس علماء القيروان، ولتدعيم الفتوى واصل روش مسيرته إلى الحجاز مرورا بمصر حيث صادق علماء الأزهر وشريف مكة والطائف على محتواها، ثم بعث روش إلى الجنرال بيجو قبل نهاية سنة 1841م واستقر هو في روما إلى أن أمره الملك لويس فيليب العودة إلى الجزائر في ماي 1842م (46). تقوم خلاصة الفتوى على: "يجب على المسلمين مهادنة الكفار الذين غزوا بلادهم (أو أراضيهم) بالقوة وذلك إذا لم يؤذ هؤلاء نساءهم وأطفالهم وسمحوا لهم بممارسة دينهم وتركوا لهم حرية إيمانهم" (47). وبمجرد وصول الفتوى شرعت الإدارة الفرنسية في توزيعها على القبائل وانتشرت أخبارها في مختلف أرجاء الجزائر وأعجب بها أصحاب النفوس الضعيفة من الجزائريين وخارت قوتهم

وفضلوا الراحة على الجهاد، لدرجة نادوا ليون روش بـ "الحاج عمر" وكتب الجنرال لاموريسيار من إقليم وهران إلى بيجو يخبره مستبشرا بتأثير الفتوى في نفوس المسلمين ولوحظ فتور على القتال⁽⁴⁸⁾.

وبعد مدة وجيزة من إصدار الفتوى أعد بيجو خاتما نقش عليه الآية القرآنية الكريمة: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽⁴⁹⁾ مستعملا إياها في مختلف مراسلاته مع المسلمين لكسب ولائهم لفرنسا باسم الدين وأغلب الظن أن روش هو من اقترح ذلك على بيجو كونه لا يعرف اللغة العربية ولا علم له بالقرآن الكريم وما فيه⁽⁵⁰⁾.

كما كلف المارشال بيجو ليون روش بمرافقة ديماس، بسبب وصول بعض قبائل التيطري في 2 جويلية 1842م لأداء يمين الطاعة والولاء لفرنسا أمام الحاكم العام، حيث كان على روش مساعدة ديماس في اختيار بعض الأشخاص من هؤلاء وتقديم أسمائهم للمارشال بيجو ليعينهم على رأس مختلف القبائل الموالية لفرنسا⁽⁵¹⁾. واصل ليون روش مهمته في خدمة مصالح وطنه بضرب مقاومة الأمير عبد القادر بتشتيت القبائل من حول، معتمدا على معارفه من أتباع الطريقة التيجانية والطيبية المعاديتان للأمير، وكثف نشاطاته خلال سنتي 1842م و1843م، كما يرجع له الفضل في انتصارات الدوق دومال على زمالة الأمير عبد القادر في معركة وادي ايسلي أوت 1844، ليتحصل على رتبة فارس فرقة الشرف⁽⁵²⁾.

والجدير بالذكر أن الأمير عبد القادر كان يلجأ وقت الشدة إلى المغرب للتزود بالأسلحة والمؤونة، فسعى المارشال بيجو إلى قطع الطريق عليه من المغرب، فطلب من ليون روش مساعدة الجنرال دي لاري في وضع خريطة جغرافية يبين فيها الحدود الجزائرية المغربية بالاعتماد على الوثائق العثمانية إضافة إلى ممارسة مهامه الجاسوسية، فقد نظم جهاز مخابرات مع الأهالي الموالين لفرنسا، كما تسربت عيونه داخل الجيش المغربي في مركز لالا مغنية بقيادة الأمير مولاي محمد بن مولاي عبد الرحمن، ولما كان هذا الأخير يعقد اجتماعا سريا مفاده مساعدة الأمير عبد القادر، كان أحد رجالات روش في الاجتماع فأفاده بكل القرارات التي اتخذت في هذا الاجتماع⁽⁵³⁾.

كما انتشرت عيونه أيضا في مدينة وجدة وتازة وتجمعت لديه بذلك أن يكشف مراسلات مولاي محمد السرية مع أبيه ومن بينها رسالة يأمره فيها بالتوقف في مدينة تازة وينصحه بإقامة السلم مع فرنسا، نظرا لضعف قوة المسلمين وأن يعمل على أبعاد الأمير عبد القادر ومطاردته دون جلب نظر القبائل⁽⁵⁴⁾.

ألف ليون روش كتابه المعنون بـ "32 سنة في رحاب الإسلام"، وقد تحدث كارابي عن روش وما دفعه إلى كتابة مذكراته فيقول: "إن ذلك كان بإلحاح من أسرة المارشال بوجو لأنهم كانوا يعلمون أنه من المستحيل أن يتحدث روش عن حياته دون أن يحكي في جانب منها عن حياة المارشال بسبب أنهما كان مرتبطين ببعضهما البعض كل الارتباط ويعملان لمجد فرنسا وظهرت المذكرات بعنوان 32 سنة في الإسلام عام 1884"⁽⁵⁵⁾.

نلخص في دراستنا هذه إلى مجموعة من النقاط أهمها:

رافق الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م جحافل من المستشرقين في مختلف التخصصات، فعكفوا على دراسة الجزائر من مختلف الزوايا سعيا لتذليل الصعاب أمام دولتهم للتوغل في الجزائر وتثبيت كيانها بها، أمثال بيريروجر وغيرهم.

يعد ليون روش أحد أهم وأبرز المستشرقين الذين وطدوا أركان الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية في افريقيا عموما والجزائر على وجه الخصوص.

انتقن ليون روش للغة العربية أهله لأن يكون مترجما مؤهلا في الجيش الفرنسي.

شارك ليون روش في حملات الجنرال كلوزيل العديدة أهمها حملته على مدينة المدية، مؤديا دورا محوريا في تذليل الصعاب أمامه بتأديته دور الوسيط بين الجزائريين وبين الجنرال كلوزيل من خلال الترجمة. توغل ليون روش في دولة الأمير عبد القادر مدعيا اسلامه ونكرانه لوطنه، فنقل بتجسسه أدق التفاصيل عن الأمير وأخباره العسكرية والادارية وحتى الشخصية.

ساهمت آراء ليون روش عن الأمير عبد القادر في بناء فرنسا لمخططاتها السياسية والعسكرية للقضاء على الأمير عبد القادر ومقاومته.

أدى ليون روش دورا بازا في تأليب وتحريض مختلف القبائل والطريقة التيجانية على الأمير عبد القادر بدس أفكار مغلوطة عنه.

أغدقت الإدارة الاستعمارية العطايا على ليون روش سواء بترقيته في الرتب العسكرية أو العطايا المادية عرفانا عن أدواره.

أعلن ليون روش صراحة وفي وجه الأمير موقفه من وطنه فرنسا ومن الأمير عبد القادر بموجه من الغضب في وجهه والتي تجاهلها الأمير عبد القادر ولم يعرها اهتمامه.

أدى ليون روش دورا بارزا في الحصول على فتوى سنة 1841م تدعو إلى مهادنة الكفار والركون للهدوء والابتعاد عن المقاومة ورجالاتها والرضا بالاستعمار كقضاء وقدر، وهي الفتوى التي باركها العديد من رجالات الزوايا، ورحب بها وهلل لها ضعاف النفوس من الجزائريين الذين أثقل كاهلهم.

ألف ليون روش كتابه المعنون بـ "32 سنة في رحاب الإسلام"، حمله حياته سنوات اقامته بالجزائر ومختلف البلاد الإسلامية لاسيما سنوات اقامته في كنف الأمير عبد القادر، ورحلته إلى الجزيرة العربية للحصول على الفتوى.

إن ليون روش ورغم احتكاكه بالإسلام والمسلمين ولاسيما الأمير عبد القادر، إلا أنه بقي على مسحيته وعلى أهدافه الخبيثة، عكس العديد من أمثاله الذين أعلنوا إسلامهم وتبرئوا من حكوماتهم ونواياهم.

الهوامش:

- (1) Anonymne: **Quelques pages sur Léon Roches**, imprimerie Allier Frères, Grenoble, 1898, pp28,29
- (2) Roland Courtinat: **Léon Roche, secrétaire de l'Emir Abde el Kader**, revue l'Algérieniste, N117, mars 2007.
- (3) أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**, ج6، لبنان دار الغرب الإسلامي، 1998، ط1، ص77.
- (4) Léon Roche: **dix ans à travers l'islam 1834-1844**, nouvelle édition, libertaire académique éditeur, Paris, 1904, p19.
- (5) op, cite, p23.
- (6) يوسف مناصرية: **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832. 1847**، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص16
- (7) Léon Roche: op, cit, p 23.
- (8) يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص16.
- (9) المرجع نفسه، ص17.
- (10) Léon Roche: op, cit, p23.
- (11) Anonymne: op, cit, p30.
- (12) يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص ص17، 18.
- (13) L. Charles Feraud: **Les interprètes de l'Armée d'Afrique**, A.Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1876, p237.
- (14) Léon Roche: **32ans trente deux Ans a travers l'Islam (1832 -1864)**, T1, paris, 1884, p52-58.
- (15) يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص18.
- (16) Narcisse Faucon: **le livre d'or de l'Algérie**, T1, Challamel et Cie édition, Paris, 1889, p474.
- (17) يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 18.
- (18) المرجع نفسه.
- (19) روش ليون: **32 سنة في رحاب الإسلام. مذكرات ليون روش عن رحلته إلى الحجاز**، تر: محمد خير محمود البقاعي، لبنان، دار جداول للنشر، 2011، ط1، ص17.
- (20) أدريان بيربروجر: **مع الأمير عبد القادر، رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير عبد القادر في البويرة (1837-1838)**، تر: أبو القاسم سعد الله، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2005، ص111.
- (21) يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 26.
- (22) Léon Roche: **dix ans**, op, cit, pp65,66.
- (23) Léon Roche: **32ans trente deux Ans a travers l'Islam (1832 -1864)**, T1, paris, 1884
- (24) يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 27.
- (25) Feraud: op, cit, p238 .

- (26) Léon Roche: **32ans**, op, cit, p205.
- (27) يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 28.
- (28) Marcel Emerit : **la légende de Léon Roches** : Revue africain, V91, 1947 , p83.
- (29) Léon Roche: **32ans**, op, cit, p283-273.
- (30) يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 29.
- (31) Léon Roche: **32ans**, op, cit, p300.
- (32) يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 27.
- (33) المرجع نفسه، ص30.
- (34) المرجع نفسه، ص31.
- (35) Léon Roche: **32ans**, op, cit, p288.
- (36) يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص ص32، 33.
- (37) Feraud: op, cit, p239.
- (38) Ibid.
- (39) Marcel Emert: op, cit, pp 86,87.
- (40) يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص40.
- (41) المرجع نفسه.
- (42) Henri Ideville: **le Maréchal Bugeaud d'après sa correspondance intime et des document inédits (1784- 1849)**, T2, p p 313 ,314 .
- (43) RocheLéon: (1884:) **32ans trente-deux Ans a travers l'Islam (1832 -1864)**, T1, paris. Narcisse Faucon (1889), **le livre d'or de l'Algérie**, T1, Paris,Challamel et Cie édition, p-p223 .228.
- (44) يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص106.
- (45) Léon Roche:**32ans**, op, cit, p-p 439-443.
- (46) يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص106.
- (47) المرجع نفسه، ص41.
- (48) Ideville: op, cit, pp,313,314.
- (49) الأعراف، الآية 28.
- (50) يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص42.
- (51) المرجع نفسه، ص41.
- (52) المرجع نفسه، ص ص42، 43.
- (53) المرجع نفسه.
- (54) المرجع نفسه.
- (55) روش ليون: المصدر السابق، ص ص 18، 19.

قائمة المصادر والمراجع

- بيربروجر أدريان: مع الأمير عبد القادر، رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير عبد القادر في البويرة (1837-1838)،
تر: أبو القاسم سعد الله، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م،
الجزائر، 2005.
- روش ليون: 32 سنة في رحاب الإسلام. مذكرات ليون روش عن رحلته إلى الحجاز، تر: محمد خير محمود البقاعي،
لبنان، دار جداول للنشر، 2011، ط1.
- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، لبنان دار الغرب الإسلامي، 1998، ط1،
-مناصرية يوسف: مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832. 1847، ط1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،
1990.
- Anonyme, (1898), **Quelques pages sur Léon Roches**, imprimerie Allier Frères,
Grenoble .
- Emerit Marcel, (1947), **la légende de Léon Roches** : Revue africain, V91 .
- Feraud L. Charles, (1876), Les interprètes de l'Armée d'Afrique, A.Jourdan, libraire-
éditeur, Alger.
- Henri Ideville: le Maréchal Bugeaud d'après sa correspondance intime et des document
inédits (1784- 1849) , T2.
- Léon Roche, (1904), **dix ans à travers l'islam 1834-1844**, nouvelle édition, Paris
libertaire académique éditeur .
- Narcisse Faucon, (1889), **le livre d'or de l'Algérie**, T1, Paris,Challamel et Cie édition.
- RocheLéon, (1884) , **32ans trente deux Ans a travers l'Islam (1832 -1864)**,T1, paris .
- Roland Courtinat, (mars2007), Léon Roche,secrétaire de l'Emir Abde el Kader, revue
l'Algérieniste, N117.